المذهب الوضعي- رؤية نقدية

د. محمد عبد الجابر علي الحلواني*

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم البحث في ٢٠١٢/١٢/٢٣م اعتمد للنشر في ٢٠١٣/١/٢٠م

ملخص البحث:

أسس "أجوست كونت" مذهبه الوضعي على جملة من العلوم، جعل في مقدمتها علم الاجتماع، وراح يفسر معظم قضاياه، استنادًا إلى فهم خاص به لهذه العلوم، والتي كان من أولاها علم الاجتماع، ومن هنا كانت فكرة هذا البحث، والذي جاء بعنوان: (المذهب الوضعي "رؤية نقدية") قصد من خلاله عرض المذهب كما جاء على لسان صاحبه، لإيضاح الحق من الباطل، ووضع الأمور في موضعها الصحيح. والمتأمل لمنهج المذهب الوضعي يجده متعارضا مع الإسلام في نواح عدة، منها: قصر المعرفة على المعرفة الحسية، وأن الناس طبقات يتمايزون فيما بينهم كل حسب درجته، وأن المرأة مقدمة على الرجل، وأن الإنسانية هي النهاية العظمى والإله الحق، وإنكار وجود الله تعالى ورفضه العالم الغيبي.

Abstract:

Foundations "Ojust formed" doctrine positive for a range of science, make in the forefront of sociology, and kept explains most issues, based on an understanding of its own for this science, which was accorded sociology, hence the idea of this research, which came entitled: (positivist doctrine "critical") in order to showcase doctrine as stated by the owner, to clarify right from wrong, and put things in place. The meditator to approach doctrine postural finds incompatible with Islam in many ways, including: Palace of knowledge on knowledge sensual, and that people layers Eetmaazon among themselves, each according to his degree, and that women Introduction to men, and that humanity is finally Great Britain and true God, and denying the existence of God and rejection of the world metaphysical.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونشكـــره ولا نكفره، ونعادي من

* أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

يكفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله خصنا بخير كتاب أنزل، وشرفنا بخير نبي أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. اللهم أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، وألحقنا بصحبته اللهم أمين. أما بعد.

فلقد سادت أوربا في بدايات العصور الحديثة مذاهب متعددة، ونظريات مختلفة، اتخذت من العلم ستارًا للوصول إلى بغيتها، ويعد المذهب الوضعي واحدًا من بين هذه المذاهب وأخطرها، وليس أدل على ذلك من جملة الآراء التي جاء بها ودعا إليها. فقد نادى بضرورة حصر الموجود في المحسوس، كما استحدث دينًا جديدًا، قصد من خلاله التحقير من شأن الرسالات السماوية، وعدم توقيرها، وضرورة الخروج عليها، لأنها - بحسب زعمه - مجموعة من الآراء التي ليس لها ما يدعمها من عقل أو علم، وبالتالي فلا بد من تجاهلها والخروج عليها، والعجيب أنه يدعو إلى ذلك بزعم العلم، وما هو من العلم في شيء.

ولقد أسس "أجوست كونت" مذهبه على جملة من العلوم، جعل في مقدمتها علم الاجتماع، وراح يفسر معظم قضاياه، استنادًا إلى فهم خاص به لهذه العلوم، والتي كان من أولاها علم الاجتماع، ومن هنا كانت فكرة هذا البحث، والذي جاء بعنوان: (المذهب الوضعي "رؤية نقدية") قصدت من خلاله عرض المذهب كما جاء على لسان صاحبه، لإيضاح الحق من الباطل، ووضع الأمور في موضعها الصحيح.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف الوضعية ودواعي ظهورها.

المبحث الثاني: المذهب الوضعي دراسة تحليلية.

المبحث الثالث: أثر الوضعية على المجتمعات والحركات الفلسفية.

المبحث الرابع: نقد وضعية أوجست كونت.

المبحث الخامس: الوضعية في ميزان الإسلام.

وأخير الخاتمة.

وبعد فهذا جهدي وعملي، أسأل الله تعالى أن ينال القبول، فإن كنت أصبت فذلك من فضل الله تعالي، وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه، قال تعالى: ﴿ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا﴾ (١)، و أدعو الله - عز وجل- ألاّ أحرم أجر المجتهد أصاب أو أخطأ. وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول
تعريف الوضعية ودواعي ظهورها

تعريفه الوضعية:

كلمة وضعية تستعمل استعمالات كثيرة ومختلفة، فهي تطلق ويراد بها المعاني التي هي من وضع الإنسان، أو من وضع الآلة، كما تطلق ويراد بها الحسي أو التجريبي(٢).

وقد جاءت كلمة وضع في اللغة: بمعنى جعل اللفظ بإزاء المعنى.

أما في اصطلاح الحكماء: فهي هيئة عارضة للشيء بسبب نسبتين. نسبة أجزاء بعضها إلى بعض، ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجية عنه كالقيام والقعود بأن كلاً منهما هيئة عارضة للشخص بسبب نسبة أعضائه بعضها إلى بعض، وإلى الأمور الخارجية عنه(٣).

والوضع قد يكون طبيعياً، وذلك كتركيب أجزاء الجسم على النحو الذي يوجد عليه في الطبيعة، وقد يكون غير طبيعي، وذلك كتركيب أجزاء الشيء مصادفة واتفاقاً(٤)، والوضعية المقصودة هنا تلك الحركة التي حملها "أوجست كونت"، وقرر من خلالها أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة، وما بينها من علاقات أو قوانين، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، ولهذا يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات (٥). فهي

وضعية لقصرها المعرفة على الواقع المحسوس، فالفكر الإنساني لا يدرك سواه.

الظروف المحيطة بنشأة الوضعية:

الوضعية أو الواقعية هي الفلسفة التي وضع قواعدها الأولى "كونت"، وقد أقامها نتيجة شعوره بنجاح العلم الطبيعي، وقدرته على تحقيق السعادة والتقدم للإنسان، من هنا كانت نظريته التي دعا إليها.

"فقد شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر اضطرابات اجتماعية وتقلبات فكرية متنوعة، حيث سقطت أنظمة وأوضاع دامت قروناً متطاولة، وانهارت قواعد ومبادئ كانت تسد حاجات المجتمع، وتلبى رغباته في مجالات كثيرة، ولم يعقب هدم الماضي الذي أوغل فيه عصر التنوير بناء جديد للحاضر والمستقبل، وظهر للكثير من المفكرين حقيقة أن الهدم قد يتم بوسائل وأفكار خاطئة تماماً، إلى درجة أنها لا تستطيع أن تبنى شيئاً جديداً، وكان الانحياز الوحيد الذي استقطب الأذهان وبهر الأنظار، هو التقدم العلمي في مجالات البحوث الطبيعية"(٦).

وهنا تساءل كثير من رواد الفكر، أليس في إمكان العقل الوصول إلى أعلى درجات النجاح ؟، خصوصاً بعد أن فك قيوده، وتخلص من سلطان الكنيسة، وطغيان القساوسة الذي لازمه أمداً طويلاً. وهنا ظهرت الفلسفة الوضعية في ظل الظروف الآتية:-

١- الاضطراب الذي كان يعيش فيه المجتمع الفرنسي:

فلقد أحدثت الثورة الفرنسية خراباً مادياً، واضطراباً معنوياً، وقلقاً اجتماعياً لديهم، ولما فتشوا عن سر هذا كله، وجدوا أن "أهم أسباب ما هم فيه إنما يرجع إلى الاضطراب المعنوي، أو فساد العقيدة في القيم العليا، فعمل كل منهم بطريقته الخاصة على إعادة الإيمان بهذه القيم" (٧).

وقد أخذ المفكرون على عاتقهم إصلاح المجتمع، وإعادته إلى الإيمان بقيمة مرة أخرى، لما لهذه المسألة من أهمية، سواء أكان في الناحية العملية أم في الناحية النظرية، ومع اتفاق المفكرين على ضرورة إصلاح المجتمع، إلا أنهم اختلفوا في

نقطة البداية، وقد تفرقت بهم السبل إلى اتجاهات ثلاثة:-

أ- الاتجاه الروحي: وهو اتجاه يرفض المادية ويعارضها.

ب- الاتجاه الفلسفي: وهو اتجاه يعارض الفردية، وينكر أن يكون للإنسان كيان قائم بنفسه، ويدعو إلى الاعتماد على عصمة البابا حتى يتخلص من المجتمع وشروره وآثامه.

ج- الاتجاه الواقعي: وهو يرى أن صلاح المجتمع يتأتى عن طريق العلم الوضعي، فهو الذي يكفل السعادة للمجتمع، كما يوفر له وسائل التقدم والتنظيم والتعمير [٨].

والاتجاه الأخير هو الاتجاه الذي أخذ به "كونت"، بل وحمل لواءه، وعمل على نشره وتطبيقه، نتيجة لتشبعه بفكرتين هما: "الأولى: أن الآراء والعقائد التي تمس العالم والمجتمع الإنساني في حالة فوضى، الثانية: أن الحالة الطبيعية والعادية هي تنظيم هذه الآراء تنظيماً عقلياً" [٩].

وللقضاء على هذه الفوضى وإيجاد أسلوب للتفكير المنظم نراه يقدم لنا حلولاً ثلاثة هي:-

أ- التوفيق بين التفكير الميتافيزيقي والتفكير الوضعي.

ب- جعل المنهج الميتافيزيقي منهجاً عاماً، تخضع له جميع العلوم والعقول.

ج- تعميم المنهج الوضعي على كل الظواهر في الكون، وبذلك تحقق مبدأ وحدة المعرفة الوضعية، وبالتالي نصل بالمجتمع إلى ما ينبغي أن يكون عليه [١٠].

٢- الصراع بين الكنيسة والعلم:

من بين الظروف التي أحاطت بنشأة الفلسفة الوضعية، ما كان موجوداً بين الكنيسة والعلم، من صراع شديد وعداء مستحكم، فعلى الرغم من أن لكل من العلم والدين منهجه وموضوعه الخاص، إلا أن هذا يمنع حدوث تصادم بين الكنيسة والعلماء، فقد " تميز القرن التاسع عشر بأنه عصر " الوضعية "، والوضعية نظرية فلسفية نشأت في دائرة المعرفة، وقامت في جو معين، وعلى أساس خاص، أما جوها المعين فهو، أولاً وبالذات سيطرة الرغبة على بعض العلماء والفلاسفة في

معارضة الكنيسة، والكنيسة تملك نوعاً خاصاً من المعرفة، وكانت تستغله في خصومة المعارضين فترة من الزمن، وهذا النوع الخاص من المعرفة الكنسية هو المعرفة المسيحية "الكاثوليكية" بوجه خاص [١١].

هذه هي الظروف التي أحاطت بنشأة الواقعية، وتتمثل في محاولة إعادة المجتمع إلى الإيمان بقيمه العليا؛ إلى جانب العداوة التي وجدت بين الكنيسة والعلم.

المبحث الثاني
المذهب الوضعي دراسة تحليلية

أوجست كونت صاحب الفلسفة الواقعية، ولكن تكون فكره بجانب الكونت "دى سان سيمون" [١٢]، وتأثر من غير شك "بشارل فوربى"[١٣]، وهما مصلحان اجتماعيان.. والأول أول من قال "فلسفة واقعية" وسياسية واقعية، بل إن كثيراً من الآراء التي قال بها "كونت" نلمحها عند سان سيمون، الذي أخذها هو الآخر عن طبيب مغمور معاصر له يسمى "يوردان" [١٤]، وسوف أعرض للمذهب من خلال فكر "أوجست كونت"، وذلك لعدة أسباب:-

١- ارتباط المذهب باسمه، حتى صار يعرف باسم وضعية كونت.

٢-كونه الأب الروحي له، فقد عمل على تقعيد قواعده، ووضع المنهج العام له.

٣-وضوح الفكرة عنده.

٤-قيامه بمحاولات عديدة في نواحٍ مختلفة لخدمة هذا المذهب، فقام بتصنيف العلوم، وحاول أن يضع تصوراً جديداً للأخلاق، كما قدم مذهباً جديداً عرف بالمذهب الإنساني الذي تطور فيما بعد إلى ديانة الإنسانية.

٥-أن هذا المذهب كان له تأثيره على بعض الشعوب التي أخذته ووجهته وجهة دينية، فلقد أخذ به الأمريكان، وضعوه في نسق ديانة الإنسانية. وفيما يلي عرض لهذا المذهب بشيء من التفصيل:-

أ- المعرفة:

الفلسفة الوضعية أقام دعائمها الأولى "كونت" على أساس من التجربة،

فالمعرفة المعتبرة عنده هي التي تتسم بالطابع اليقيني، فالوضعية تقوم على التجربة، وتنكر أي معارف أولية، وقد رأي "كونت" أن العقل الإنساني يمر بمراحل ثلاث:-

١- المرحلة اللاهوتية ٢- المرحلة الميتافيزيقية ٣- المرحلة الواقعية.

(١) المرحلة الأولى:

وهى مرحلة الطفولة، فهي أولى مراحل تطور الفكر البشرى، وفيها أرجع الإنسان وجوده إلى موجودات غير منظورة في عالم علوي، سواء تمثلت في إله واحد أو آلهة متعددة [١٥].

وهذه المرحلة مرت هي الأخرى بمراحل ثلاث:-

(أ) المرحلة الفيتشية، وتعنى إضافة حياة روحية للكائنات الطبيعية.

(ب) تعدد الآلهة، وفيها تتصور الآلهة على أنها قوى غير منظورة.

(ج) التوحيد وفيها يحدث الجمع بين القوى في صورة إله واحد مفارق للأشياء[١٦].

(٢) المرحلة الثانية:

أعني بها المرحلة الميتافيزيقية، وهى تلك المرحلة التي يحاول العقل فيها "استكناه صميم الأشياء وأصلها ومصيرها، ولكنه يستبدل بالعلل المفارقة عللاً ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء، وما هي إلا معان مجردة جسمها له الخيال"[١٧]، وقد مرت هذه المرحلة هي الأخرى بمراحل ثلاث:-

أ- فيقابل الفيتشية اعتقاد الميتافيزيقا بوجود علل في باطن الأشياء.

ب- وفى حالة تعدد الآلهة يقابله هنا تقسيم الظواهر إلى طوائف وتخصص.

ج- وفى حالة التوحيد يقابلها هنا القول بقوة واحدة، وإرجاع الكل إليها [١٨].

(٣) المرحلة الثالثة:

وهى المرحلة الأخيرة وأعني بها الواقعية، والتي يقصد من خلالها دراسة الواقع المحسوس ففيها "يدرك العقل امتناع الحصول على معارف مطلقة فيقصر همه على تعرف الظواهر، واستكشاف قوانينها وترتيب القوانين من الخاص إلى العام، فتحل هنا الملاحظة محل الخيال والاستدلال، ويستعاض عن العلل بالقوانين

أي العلاقات المطردة بين الظواهر، فتكون موضوع العلم الإجابة عن سؤال "كيف"، لا عن سؤال "لم" (١٩).

هذه هي المراحل الثلاث، التي مر بها العقل البشرى في نظر "كونت"، وهى "سبب الاضطراب العقلي الذي تعانيه الإنسانية" (٢٠). ولهذا عمل "كونت" من أجل القضاء على هذه الاضطرابات على إحلال العلم الوضعي محل الميتافيزيقا، "ففي حالة الوضعية قد تنازل العقل عن البحث بلا جدوى عن الأفكار المعلقة عن أصل الكون ومصيره، وعلل الظواهر، وأصبح يختص بدراسة قوانينها، يعنى علاقاتها الثابتة للتعاقب والتشابه" (٢١). وعلى هذا تكون الوضعية التي دعا إليها "كونت"، هي البحث عن قوانين وعلاقات تشاهد في الظواهر الطبيعية.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذا المراحل:

١- من حيث الموضوع:

تتفق كل من المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية من حيث الموضوع، فكلاهما يبحث عن أصل الأشياء وحقائقها ومصيرها. على خلاف الوضعية التي حصرت موضوعها في البحث عن العلاقة بين الظواهر والأشياء.

٢- من حيث المنهج:

للاهوتية منهج تعتمد عليه، وهو المنهج الخيالي، بينما تعتمد الميتافيزيقيا على المنهج الاستدلالي، وتلعب الملاحظة فيهما دوراً ثانوياً، بينما الوضعية تعد الملاحظة هي المنهج الوحيد للوصول إلى المعرفة اليقينية (٢٢).

٣- من حيث التفسير:

المرحلة اللاهوتية تقوم بتفسير الأشياء عن طريق "تدخل إرادات اعتباطية، لأنها افتراض تلقائي" (٢٣). بينما تفسر الأشياء في المرحلة الميتافيزيقية بردها إلى قوى غيبية، بخلاف المرحلة الوضعية فهي "في غنى عن التفسيرات" (٢٤)، فهي تبحث عن الظواهر المحسوسة وما بينها من علاقات وقوانين، وهكذا يقصر المذهب الواقعي المعرفة اليقينية على المعرفة التي ترد من خلال الملاحظة

والتجربة، وبذا يكون قد قضى على الميتافيزيقا وعمل على إحلال الوضعية محلها.

ب- تصنيف العلوم:

تصنيف "كونت" للعلوم في القرن التاسع عشر هو أهم تصنيف، حاول من خلاله أن يرتب العلوم تبعاً لبساطتها، وقد ذكر ستة علوم أساسية، رتبها على النحو التالي: "الرياضة، والفلك، فالطبيعة، فالكيمياء، فعلم النبات، فعلم الاجتماع، وكل واحد من هذه العلوم يرتكز على نتائج العلوم التي قبله وإذن فعلم الاجتماع هو من العلوم كلها ذروتها العالية، ولا يبرر وجود علم من العلوم الأخرى إلا بمقدار ما يمدنا به من شرح وتوضيح لعلم الاجتماع، وهكذا يرى "كونت" أن العلم بمعنى المعرفة اليقينية يسير على الترتيب السابق من موضوع إلى آخر، ومن الطبيعي أن تكون ظاهرة الحياة الاجتماعية المعقدة آخر ما يخضع للطرق العلمية" (٢٥).

وعلى الرغم من أن تصنيفه يعد أهم تصنيف للعلوم؛ إلا أنه يلاحظ عليه إغفاله لكثير من العلوم، وفى مقدمتها علم النفس والعلوم التطبيقية وكذا الفنون، وركز اهتمامه على الاجتماع، والمتأمل في فلسفته يستطيع أن يقف على حقيقة هذا الأمر دون كبير عناء، فهو عنده بمثابة حجر الزاوية، وينظر إليه على أنه " اللحظة الحاسمة في فلسفة "كونت" فكل فكرة لديه تستمد من هذا العلم، وكل فكرة تؤول إليه، وكما أن جميع المسالك في المذهب الأفلاطوني توصل إلى نظرية المثل، كذلك تستطيع أن تلمح علم الاجتماع دائماً من خلال طرقات المذهب الوضعي، فما أشبهه بالمركز الوحيد الذي تتلاقى عنده فلسفة العلوم، ونظرية المعرفة، وفلسفة التاريخ وعلم النفس، والأخلاق والسياسة والدين، وبالإجمال تتحقق وحدة هذا المذهب في هذا المركز، وهذه الوحدة هي أصدق دليل في نظر "كونت" على صحة ذلك المذهب " (٢٦).

واللافت للنظر في مذهب كونت هو إغفاله لعلم النفس، وجعله من علم الفلك علماً أساسياً الأمر الذي عرضه للنقد يقول "يوسف كرم" ونلاحظ على هذا التصنيف أربع ملاحظات الأولى أنه يبدأ بالكم. الثانية جعله من علم الفلك علماً

أساسياً. الثالثة. إهماله لعلم النفس الرابعة. إنكاره أصالة الظواهر النفسية [٢٧].

إلا أن رفض كونت إدخال علم ضمن العلوم الوضعية وذلك انسياقاً مع المذهب الواقعي "الذي لا يعترف بالنفس، فلذلك قسم أفعال الإنسان إلى أفعال عضوية أو حيوية. جعلها جزءاً من علم الحياة، وأفعال فكرية جعلها جزء من علم الاجتماع" [٢٨].

وقصارى القول حول تصنيف "كونت" للعلوم هو ما عبر عنه بعض الباحثين بقوله:إن كونت جعل من تصنيفه للعلوم وسيلة لفرض فلسفته الوضعية، وتكملة لقانون الحالات الثلاث، وهو بهذا التصنيف أخرج الفلسفة نهائياً من الإطار النظري إلى الإطار العملي، وذلك تقديراً منه للمنهج الوضعي، فقد أشار إلى أن هذا المنهج يستهدف دراسة الظواهر لا الأشياء ذاتها؛ ثم أقام دراسة الظواهر على المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة [٢٩].

ج- الأخلاق:

من المعلوم أن الفلسفة الوضعية رفضت كل تفكير ميتافيزيقي، فقد استبعدت كل بحث عن العلل والغايات، واقتصرت على الواقع المحسوس، وقد تبنت هذا الموقف في سائر اتجاهاتها، وحاولت تطبيقه على الأخلاق، فقد رأت أن الأخلاق شأنها شأن سائر العلوم الأخرى قد مرت بالمراحل الثلاث اللاهوتية، والميتافيزيقية، والواقعية والمرحلة الأخيرة هي التي تنشأ عنها الأخلاق الوضعية، تلك الأخلاق التي ردها أصحابها إلى قوى خارجة عنها، فهم يرفضون أن تؤسس الأخلاق على الذات الفردية من جهة، وعلى المجهول والمطلق من جهة أخرى، ولما كان هدف هذه الفلسفة هو إصلاح المجتمع من الفساد المادي، والاضطراب المعنوي الذي سيطر عليه لجأت إلى الأخلاق فالمجتمع لا يستقيم بغيرها.

ولكن "كونت" كان يضيق بمذاهب سابقيه من الأخلاقيين، ولا يرضيه اتجاه الديانة المسيحية بالوضع الذي بدا في عصره "[٣٠]، فالأخلاق المسيحية "خير ما فيها في نظرة أنها أقرت الإيثار حين طالبت معتنقها بأن يحب غيره كما يحب نفسه،

وحثه على أن يحسن إلى المحتاج ويمد يد العون إلى الضعيف، ونفرته من الأثرة التي اعتبرتها أم الرذائل، ولكن "كونت" مع هذا قد أخذ عليها أنها جمدت والعالم يجرى في رحاب العلم، إذ ارتبطت بالكاثوليكية التي تعثرت في مسايرة التقدم العلمي، ومتابعة ما يقتضيه مناهج البحث العلمي، ثم ما لبثت أن جمدت وتصدت دفاعاً عن وجودها لمقاومة التقدم وعرقلة سيره، ومن هنا نشأ النزاع الذي أتى على الأخلاق المسيحية فراحت هذه ضحية الكاثوليكية وجمودها" (٣١).

لذا رفض "كونت" اعتبار المسيحية أساساً لمذهبه الأخلاقي، وعمل على إقامتها بناء على أسس مذهبه الخاصة به، فنراه يرفض الميتافيزيقا بكل ما يتصل بها، وانتهى "كونت" إلى إقامة علم أخلاقي وضعي قوامه إسعاد الإنسانية، وشعاره البعد عن التفكير الميتافيزيقي والنزوع إلى الحياة الاجتماعية.

"وقد عالج "كونت" الأخلاق في الفصل الأخير من علم الاجتماع منطلقاً من قانون التقدم العاطفي، وهو أحد قوانين علم الاجتماع المتحرك وفحوى هذا القانون أن الفرد ينتقل من شيء من الغيرية، ولا تزال الغيرية تتقدم حتى تسود سيادة تامة. فمراحل نمو الغيرية عبارة عن اتحاد الأفراد في الأسرة، واتحاد الأسرة لأجل الحرب، وتعاون الجميع لازدهار الصناعة" (٣٢).

فالأخلاق عنده تعنى الشعور بالآخرين، وعدم الاهتمام بالمصلحة الشخصية وبهذا تكون الخاصة الخلقية عنده مكونة من عواطف تلقائية تتحول إلى حالات وجدانية عائلية واجتماعية، وبذلك تكون الأخلاق عنده غريزة طبقاً لجذورها الحيوانية، وتصبح عقلية في تطورها الإنساني (٣٣) ويمكن إجمال خصائص فلسفته الأخلاقية فيما يلي:-

١- أنها أخلاق وضعية:

فقد جعل " كونت " من العلم الوضعي أساساً لها، ولهذا فهي تحقق صفاته الجوهرية وذلك لأمرين:-

أ- أنها فلسفة حقيقية فهي لا تقوم على الخيال بل على الملاحظة.

ب-نظرتها للإنسان فهي لا تنظر إليه على النحو الذي يتخيل وجوده عليه، بل على النحو الكائن بالفعل[٣٤].

٢- أنها فلسفة تجريبية:

فهي فلسفة لا تعتمد التجارب السابقة التي قدمتها البشرية، ولكن تعتمد على الأدلة التي برهنت بها الإنسانية على وجود ميولها وبواعثها المألوفة التي حفزتها إلى العلم خلال القرون التي قص علينا التاريخ أخبارها [٣٥].

٣- أنها أخلاق نسبية:

أعنى أنها ليست ثابتة فالظاهرة الخلقية تخضع لعوامل عديدة ومختلفة، فهي ليست مطلقة وهذا أمر تقتضيه طبيعة المعرفة فنسبية المعرفة "تؤدى إلى نتيجة مباشرة وضرورية وهى نسبية الأخلاق" [٣٦].

هذه هي خصائص الأخلاق الوضعية، يتضح من خلالها مكانة العلم الوضعي، وأهمية المنهج العلمي الذي يدعون إليه ويطبقونه على كل شيء زعماً منهم أنه هو السبيل لتحقيق السعادة للفرد والمجتمع.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل كتب لعلم الأخلاق الوضعي أن يحقق ما يريد ؟ الواقع أن علم الأخلاق الوضعي لم يستطع أن يحقق أي نجاح فالمحاولات التي أقيمت لهذا الغرض لم يكتب لها النجاح.

يقول بعض الباحثين: إن المحاولات التي بذلت لإقامة علم أخلاقي وضعي لم تنجح، وإذا أردنا أن نسير في الطريق السليم ينبغي أن نقلب المشكلة ونحاول أن نصل إلى أخلاق [٣٧] علمية [٣٨].

(د) الدين الوضعي:

من المعلوم أن "كونت" أقام فلسفته محاولاً من خلالها أن يجعل من العلوم العقلية علوماً وضعية، والدين من العلوم العقلية لهذا حاول أن يجعل منه ديناً وضعياً.

والمقصود بهذا الدين أنه دين ملائم للواقع، فلا صلة له باللاهوت،

ولا علاقة له بالميتافيزيقا، وهو بذلك يحاول أن يشق لنفسه طريقاً لوضع أسس ديانة جديدة وهى "ديانة الإنسانية" التي قامت على يديه نتيجة لوجود بعض المفكرين عبروا عن سخطهم على الدين الموجود في ذلك الوقت.

ويمكن القول إن "كونت" "حدد في الجزء الأخير من حياته صفات ما أطلق عليه منذ ذلك الحين اسم الكائن الأعظم" (٣٩) أعنى دين الإنسانية واهتم بها وأوقف جزءاً كبيراً من اهتماماته عليها فهي في نظره سبل الخلاص من الاضطراب المعنوي، والخراب المادي.

فهي " تتألف من كل ما أحس به الناس، وفكروا فيه وقدموه من خير وفضل وباقيات صالحات، إنها الموجود الذي يسمو على المكان، والذي يتركز فيه جهود الأفراد العابرة، والمتقلبة بعد تطهيرها وتنظيمها، والذي تصبح معه هذه الجهود حياة خالدة وأثراً باقياً " (٤٠).

فهذا الدين في نظر كونت هو الأسمى والأفضل وفى تصوره " أصبحت الإنسانية الجماعية هي الإله الجديد، وسماه كونت الكائن الأسمى أو الكينونة الاسمي التي لم تكن على الإطلاق مماثلة للكينونة اللامفهومة للمسيحية أو للطبيعة المؤلهة التي لا يسمح وجودها بأي برهان، أو حتى بالمقارنة بأي شيء آخر، ولم تكن الكينونة الأسمى شيئاً فوق الطبيعة أو شيئاً مطلقاً؛ فطبيعتها نسبية، وهي بهذه الصفة قابلة للنمو والسمو، ومع هذا يعتمد نموها على أفعال البشر التي حلت فيها المشاعر الاجتماعية محل عشق النفس، ومن هنا فإن كنيسة "كونت" التي لم ينضم إليها أحد ابتكرت أعياداً للقديسين لتكريم أناس كالفنانين، والحكام، والعلماء وما أشبه من أولئك الذين كرسوا حياتهم طوال التاريخ ليس للعبادة فقط، وإنما لكي يندمجوا في هذه الكينونة الهائلة. يعنى الإنسانية في أفضل أحوالها البعيدة عن الأنانية، وبذلك تتحقق السعادة ويتحقق التقدم على الأرض" (٤١).

وعلى هذا جعل كونت الإنسانية هي الإله الوحيد، وهو بهذا يجعل من الدين وضعاً بشرياً يفقد من خلاله هيبته ومكانته السامية التي أحيطت به لكونه موحى به

من عند الله، ففي هذه الديانة احتلت الإنسانية محل الله، وجعلت الإنسان مساوياً لله بل هو الله لهذا لا عجب أن "يكون دين الإنسانية قد بدا لأي مسيحي أو حتى لمؤلهي الطبيعة كأنه لا دين على الإطلاق" (٤٢).

(هـ) الكون:

لقد تبنت هذه الديانة نظرية خاصة بالكون، فقد قسم "كونت" الكون كله تقسيماً خاصاً بهذه الديانة على النحو التالي:-

١- الفتيش الأعظم وهى الأرض.

٢- الفتيش الوسط الأعظم السماء والهواء.

٣- الفتيش الأعظم أو الموجود الأعظم وهو الإنسانية (٤٣).

فهذه الأمور الثلاثة تمثل الثالوث الواقعي، وقد يكون كونت قد فعل ذلك ليقابل الثالوث المسيحي أعنى الأب والابن والروح القدس.

(و) العبادة:

وضع كونت طقوسا وعبادات خاصة بهذا المعبود الجديد، جاءت على النحو التالي:

١- عبادات فردية. ٢- عبادات مشتركة.

أما الأولى: ففيها يقوم الفرد باتخاذ بعض الأشخاص كمثل عليا يحتذي بها لتوجيه أفكاره، أما الثانية فيشترك فيها جميع طوائف الشعب كنوع من التكريم لبعض الشخصيات المهمة التي قامت بجهود وفيرة لخدمة الإنسانية.

يقول بعض الباحثين: وفى العبادة الفردية يتخذ الأشخاص الأعزاء على الفرد نماذج المثل الأعلى، أما المشتركة فيشترك فيها جميع الشعب وتكون على أعياد تذكرية تكريماً للمحسنين إلى الإنسانية، وتطبيقاً لهذه العبادة المشتركة قام "كونت" باختراع تقويم شهري ويومي مرتبط بواقع الناس، وفيه سمى الأيام والشهور بأسماء الرجال (٤٤) الذين أسهموا بنصيب وافر في تقدم الإنسانية (٤٥).

(ز) المرأة:

اهتمت الفلسفة الوضعية بالمرأة اهتماماً واسع النطاق، فقد نظرت إليها على

أنها الرباط الذي يربط الفرد والمجتمع. "فالنساء بمثابة أعضاء العاطفة، ولهذا أوجب على الرجل أن يقدم لها طقوس العبادة التي هي عبارة عن ثلاث صلوات في اليوم أحدها في الصباح، والثانية في الظهر، والثالثة في المساء. مضمونها الشعر؛ لأنه هو الذي يأخذ بمجامع القلوب" (٤٦).

(ح) نظام الطبقات:

لقد أقام كونت في هذه الديانة نظام الطبقات وجعل الناس فيه على مراتب مختلفة وقد رتبهم على النحو التالي:-

١- الفلاسفة فهم على قمة النوع الإنساني.

٢- النساء فهم بمثابة أعضاء العاطفة، ولهن واجب وهى إثارة عواطف الحنان والغيرية.

٣- رجال المال والصناعة، فهم بمثابة أعضاء التغذية.

٤- العمال وهم أعضاء الحركة (٤٧).

وكونت في عرضه لهذه الديانة، وتقسيم الناس فيها إلى طبقات لم ينس أن يجعل "لديانته بابويه عامة مقرها باريس، وبابا للإنسانية كلها، وشعارات رنانة مثل نظام وتقدم العيش في سبيل الآخرين بل إنه يقترح حركة وضعية تحل محل شارة الصليب، ويقترح شكلاً للنظام الوضعي، والحكومة الوضعية، وأعمال الكهانة وطقوس العبادة والأسرة" (٤٨).

وبالجملة فقد كانت هذه الديانة هي أهم جزء في فلسفته، ولاقت اهتماماً كبيراً من " كونت "، ولا نغالي إذا قلنا أنه أوقف حياته كلها من أجلها.

يقول بعض الباحثين: "إن آراء أوجست كونت العملية والعلمية، تتجمع كلها، وتتلاقى في فكرة واحدة هي الإنسانية، التي تعد مركز هذه الآراء جميعاً، فإذا كان هذا التجمع كاملاً فإن كونت قد أدى رسالته، وقد استطاع من قبل أن يعالج الفوضى العقلية والخلقية، وهو يعمل الآن على إزالة الفوضى السياسية، والدينية وبذلك تتحقق الوحدة في كل مجال" (٤٩).

هذه هي ديانة الإنسانية التي صاغها "أوجست كونت" وقصد من خلالها القضاء على الديانة المسيحية، وطمس معالمها فهذه هي الغاية التي قامت من أجلها.

يقول بعض الباحثين: "الغاية الأولى للمذهب الفلسفي الوضعي هو معارضة الكنيسة، وبالتالي معارضة معرفتها، ومن باب التغطية عارض هذا المذهب باسم العلم، الميتافيزيقا والمثالية العقلية بهذا العنوان، وإلا فإن المذهب الوضعي في الوقت الذي ينكر فيه دين الكنيسة يضع ديناً جديداً بدله، وهو دين الإنسانية الكبرى، ويقوم هذا الدين على عبادة وطقوس كما تقوم المسيحية، وله قداسة واحترام في نفوس التابعين على نحو ما للكثلكة" (٥٠).

والخلاصة:

إن ديانة الإنسانية ديانة متناقضة، تتناقض بنفسها؛ ففي الوقت الذي رفضت فيه الميتافيزيقا نجدها قامت بوضع نظام للعبادة اشتمل على طقوس، وكهنة وغير ذلك، ثم هي قامت بتقسيم الناس إلى طبقات وهذا يتنافى مع الشعار الذي وضعه لها مؤسسها الأول وكاهنها الأعظم، "أوجست كونت" وهو المحبة مبدأ والنظام والتقدم أساسا.

هذه هي ديانة الإنسانية التي ارتبطت باسم "أوجست كونت" ونسبت إليه إلا أنه ينبغي أن أشير إلى أمر مهم أن هذه الديانة قد برزت من قبل لدى "سان سيمون" ودليل ذلك قوله: من المستحيل أن يختفي الدين من الدنيا، ولكن من الممكن تحويله من صورة إلى أخرى فهذه العبارة أجملت نظرته الشخصية للدين، ونظرة التنوير الجديدة التي ينظر من خلالها نظرة قاسية على الدين السماوي، ويفسر هذا المحاولات العديدة التي أعقبت ظهور كتاب المسيحية الجديدة "لسان سيمون" الذي صدر عام ١٨٢٥م وفيه ابتكار لدين جديد يجمع في الوقت نفسه بين المصداقية العلمية، وإشباع الرغبة السيكولوجية والنفع الاجتماعي، وانبعث من هذا المناخ دين جديد للإنسانية يقترن عادة "بكونت" وإن كان في الواقع قد انتشر إلى ما وراء صفوف الوضعية حتى ضم جماعات مختلفة كالراديكاليين، وشباب الهيجلين وعدد

من الأدباء [٥١].

المبحث الثالث
أثر الوضعية على المجتمعات والحركات الفلسفية

سبق وأن أشرت إلى أن الوضعية قد انتشرت، وأثرت على كثير من المجتمعات وكذا أصحاب الاتجاهات المختلفة، فأثرت على الفلاسفة، والحركات الفلسفية، والأدباء، وامتد أثرها ليشمل بعض المجتمعات.

١- إنجلترا.

الواقعية كمذهب فلسفي ساد في القرن التاسع عشر في فرنسا كرد فعل لما أحدثته الثورة الفرنسية من خراب مادى، ودمار معنوي أحدث ردود فعل واسعة النطاق، وعلى سبيل المثال إنجلترا فقد ظهرت الوضعية الجديدة في "ثوب جديد سمى الوضعية المحدثة على يد "جون ستيورت مل" "وجون لويس" [٥٢] فقد أوجدت هذه الحركة "صدى في مجرى التفكير الإنجليزي الذي استمد روحه من الحياة الصناعية والتجارية، والذي كان ينظر إلى الحقائق الواقعة نظرة توقير واحترام... فقد وجدت هذه الفلسفة الإيجابية مؤيدين لها في إنجلترا أكثر مما وجد لها في مسقط رأسها فرنسا، ربما كان هؤلاء الأتباع الإنجليز لهذه الحركة الإيجابية أقل حماسه وحرارة... ولكنه حماس مقرون بالولاء والتمسك المعروف عن الإنجليز الذي جعل "جون ستيورت مل" ١٨٠٦- ١٨٧٣" "وفرديك هاريسون "١٨٣١- ١٩٢٣" مخلصين وموالين طيلة حياتهم لفلسفة "كونت" [٥٣].

٢- ألمانيا.

من بين المجتمعات التي أثرت عليها الحركة الإصلاحية التي قام بها، "كونت" ألمانيا ويبدو ذلك واضحاً من خلال ظهور الفلسفة الوضعية في ثوب جديد "على يد ماخ ١٨٣٨ - ١٩١٦م وغيره في ثوب آخر هو النقدية التجريبية التي ترى أن واجب الفلسفة تنحصر في الإحساسات [٥٤].

٣- ثم ظهرت هذه الحركة في صورة جديدة هي "الوضعية المنطقية".

فقد تطورت الوضعية بعد "أوجست كونت" وتعددت مدارسها، واختلفت اتجاهاتها ولكنها في النهاية تعود إلى خط عام، ومن هذه الحركات- الوضعية المنطقية- التي تعد امتداداً للواقعية في رفضها للميتافيزيقا وارتكازها على التجربة، إلا أنها زادت عليها بالاعتماد على التحليل المنطقى في ردها للأمور الميتافيزيقية.

فالوضعية المنطقية ترى أن كل ما ليس وضعياً: أي ليس له وجود في العالم المشاهد لا معنى له، ولا وجود.

يقول بعض الباحثين: "ونستطيع أن نعد... الوضعيين المنطقيين ورثة لأحد اتجاهات فلسفة "كونت" بصورة جزئية على الأقل" (٥٥).

٤- أثرها على الماركسية.

أثرت وضعية "كونت" على الفلسفة الماركسية، فاتفقت معها في ضرورة إقامة المعرفة على التجربة والخبرة الحسية، فأي معرفة تخرج عن هذا فلا أهمية لها، لأنها أشبه ما تكون "بجرثومة ضارة تعبث في الفكر البشرى ليظل سفسطاً بعيداً عن إطار العلم الصحيح المتمثل في العلم الطبيعي وحده؛ لهذا انتدب كل وضعي نفسه لمحاربة هذا الداء وتنفير الناس فيه" (٥٦).

٥- أثرها على المجتمع الأمريكي.

لقد أثرت هذه الفلسفة على المجتمع الأمريكي تأثيراً بالغ النطاق، وأحدثت صدى كبيراً عندهم وأية دليل. تلقف الأمريكيين لمذهب "كونت" الإنساني وتوجيهه وجهة دينية.

ويتضح ذلك من خلال بيان الإنسانيين الذي نشر عام ١٩٣٣م وأمضاه الكثير من المجتمع الأوربي، وقد اشتمل هذا البيان على نقاط كثيرة أهمها:-

١- الكون موجود بذاته وليس مخلوقاً.

٢- الإنسان جزء من الطبيعة وهو نتيجة عمليات مستمرة فيها.

٣- لا ثنائية بين العقل والبدن وأن النظرة العضوية إلى الحياة نظرة صادقة.

٤- إن ثقافة الإنسان الدينية ليست إلا نتاج التطور التدريجي الناشئ من التفاعل بين

الإنسان والبيئة الطبيعية والوراثة الاجتماعية.

٥- عدم قبول الطبيعة لأي ضامن من فائق على الطبيعة للقيم الإنسانية.

٦- تركب الدين من الأفعال والتجارب، والأهداف التي لها دلالات في نظر الإنسان ومن هنا زال التمييز بين المقدس والمادي.

٧- انتهى الزمن الذي كان يعتقد الناس فيه بالدين، وبالله.

٨- إن التحقق التام للشخصية هدف الإنسان.

٩- الإحساسات الشخصية تعبير عن الانفعالات الدينية.

١٠-لا توجد إذن انفعالات دينية، ومواقف الناس تربطهم بوجود خارق للطبيعة (٥٧).

المبحث الرابع
نقد وضعية أوجست كونت

لقد وجه لهذه الفلسفة انتقادات كثيرة من جوانب عدة:-

أولاً: النقد العام:

أ- التعصب الشديد للمذهب:

فمن بين الانتقادات التي وجهت إلى هذا المذهب هو تعصب أصحابه الشديد له، دون النظر إلى كلام الآخرين، ودليل ذلك العداء للفلسفة التأملية. أن "ما يختص بالفلسفة يعد مصدر الحملة عليها أن "كونت" قد أساء فهم معناها، وأنه توهم أن العلم الواقعي يكفى نفسه، ولا يفتقر إلى أساس فلسفي" (٥٨). هذا بالإضافة إلى زعمه أن الشيء الوضعي هو الشيء المؤكد، الذي يمكن أن يقاس، كما أنه هو الشيء النافع (٥٩).

ب- النظرة الضيقة للميتافيزيقا:

لقد جاءت نظرة "كونت" إلى الميتافيزيقا نظرة ضيقة، وهذا يخالف ما عليه كبار الفلاسفة، الذي نظروا إليها نظرة تقدير وتقديس، فضلاً عن هذا أقروا بوجودها، فوجود عالم أخر لا يدرك بالحواس حقيقة واقعة " فلقد صرح "ديكارت"

في مقدمة الترجمة الفرنسية لكتاب مبادئ الفلسفة بأن الفلسفة وحدة غير مجزأة ولكنها تنقسم لسهولة التعليم أقساماً عدة.

منها: الميتافيزيقا وهى تشمل مبادئ المعرفة التي من بينها تفسير أهم صفات الله، وروحانية نفوسنا"(٦٠). فديكارت جعل منها مدخلاً لسائر العلوم الأخرى والأساس في فلسفته أما "كونت" فرأى أن الواقعية مقياس كل شيء "لأن الطور الوضعي وحده هو الطور الذي يتبين فيه الذهن البشرى استحالة الحصول على مثل تلك المعارف، فيتخلى عن البحث في أصل العالم وغايته وعن معرفة ماهيات الأشياء، وعللها، ومصائرها"(٦١).

ج- افتقار العلم الوضعي لتوحيد مصطلحاته.

من بين الانتقادات التي وجهت للفلسفة الوضعية أنها تعتمد على علم الاجتماع، وجعله أساس العلوم وهذا خطأ فهناك مشكلات كثيرة يعترض بها على هذا العلم من أهمها:

إنه يفتقر إلى توحيد مصطلحاته حتى تكون له لغة علمية موحدة، وهناك صعوبات منهجية تقف كعقبة أمامنا ومنها: تلك الصعوبات التي تعوق القياس في العلوم نظراً لعدم ثبات الظاهرة الاجتماعية، ومن بين هذه المشكلات طبيعة الظاهرة الاجتماعية التي تمتاز بالتعقيد ولا تخضع للتجربة (٦٢).

د- التناقض الذي يسيطر عليها.

فمن المعلوم أن "كونت" رفض الميتافيزيقا، وحاول إبعاد المذهب اللاهوتى عن توجيه الإنسان، وتقويم سلوكه، ودعا للمذهب الواقعي وإحلاله محلها، ولكنه فشل في ذلك، وتناقض مع أصل مذهبه، وذلك عندما دعا إلى دين الإنسانية، وجعلها ديانة تشتمل على طقوس، وشعائر، وعبادات، وكهنة وطقوس.

هـ- حصر الموجود في العالم المحسوس.

فالفلسفة الوضعية تحصر الوجود في عالم الحس، والطبيعة منكرة وجود ما سوى ذلك، ولكن العلم الحديث يرفض ذلك فقد انتهت هذه الأبحاث إلى أن "الكون

لا يقبل التفسير المادي في ضوء علم الطبيعة الجديد وسببه- في نظري- أن التفسير المادي قد أصبح الآن فكرة ذهنية(٦٣).

ثانياً: النقد الخاص:

١- المعرفة:

وجهت للفلسفة الوضعية عدة انتقادات وذلك لاعتمادها على المعرفة الحسية، على النحو التالي:-

أ- حصر مصدر المعرفة في الحس والتجربة:

فقد وجه إليها النقد في هذا الأمر لكونه يتصادم مع معطيات العلم الحديث التي أوضحت خلاف ذلك بل "إن العلوم اليوم كلها أبانت عن ضيق الأفق الذي تنظر منه الفلسفة التجريبية المعاصرة، ماركسية ووضعية"(٦٤) فليس لها الحق في التمسك بالعلوم الطبيعية وحدها، وقصر المعرفة على الحواس.

ب- خدع المعرفة الحسية لصاحبها:

إن هذا المذهب يؤمن بالتجربة الحسية، وجعلها أساساً للمعرفة وهذا غير صحيح، ودليل ذلك تفسيرنا لخدع الحواس. إننا حين ندرك السراب مثلاً نكون متأكدين تماماً بإحساسنا في مركز مشاهدتنا له أنه حقيقة لا ريب فيها، وهذا غير صحيح؛ لأننا إذا انتقلنا إلى موضع السراب إن أمكن تحديده بالضبط اكتشفنا أنه لم يكن سوى وهم وخداع (٦٥). فالحواس كثيراً ما تخدع صاحبها ولا يصح جعلها مصدراً وحيداً للمعرفة، أو قصر المعرفة عليها. وقصارى القول في هذا أن "القول بالحس أداة وحيدة لإدراك الحقائق، ومعيارا أقصى لاختبارات العبارات فرض تعسفي يتمسك به هؤلاء الوضعيون" (٦٦).

فهذا الكلام أشبه بدعوى بلا دليل، فضلاً عن هذا فإنهم وضعوا أنفسهم في دائرة ضيقة جداً من خلال إيمانهم بالمحسوس فقط، وجعلهم المعرفة أداة وحيدة للوقوف على حقائق الأشياء وإدراكها.

٢- قانون المراحل الثلاثة:

أ- افتقاده للأدلة التاريخية:

قانون المراحل الثلاث هو حجر الزاوية في فلسفته فهو الدعامة التي أقامها عليه، إلا أنه لم يسلم من الانتقادات، ومن أهمها: افتقاده للأدلة من الناحية التاريخية "فلا يستطيع أحد أن يقيم الدليل على أنها تاريخية، فإن الدور اللاهوتى يوافق ما قبل التاريخ وأوائل العهد التاريخي أجبنا: أن الإنسان عاش في تلك العصور الطويلة، وهو يحارب قوى الطبيعة ويستغل ذخائرها... وإن قيل إن الدور الميتافيزيقي يوافق العصر القديم سألنا عن الأرصاد الفلكية والصناعات المختلفة في الدنيا الشرقية طب "بقراط" وهندسة إقليدس"[٦٧] وكيمياء العصر الوسيط، وإن "كونت" نفسه ليعترف بأن الرياضيات واقعية منذ آلاف السنين أي منذ الدور اللاهوتى بل لا يمكن إلا أن تكون واقعية، فكيف يقال: إن العقل لم يعرف الروح الواقعي إلا في العصر الحديث، وإن قيل إن الدور الواقعي يوافق العصر أحلناهم إلى ما هو باد في الفلسفة الحديثة من الاهتمام بالأخلاق والدين بل إن "كونت" نفسه وضع ديانة الإنسانية في أواخر حياته لا في شبابه كما تقتضي نظريته"[٦٨].

ب- مخالفته للواقع:

فهذا القانون مع اعتماد "كونت" عليه إلا أنه يخالف الواقع المشاهد " فكثير من المجتمعات لا تزال تلجأ عند تفكيرها في بعض الظواهر إلى القوى الميتافيزيقية ولا تزال بعض المجتمعات تفكر تفكيراً بدائياً في بعض الظواهر وميتافيزيقياً ووضعياً في البعض الآخر"[٦٩]. فالمجتمعات تختلف فيما بينها في نظامها واتجاهاتها؛ فما يحدث في مجتمع لا يصلح لآخر، وما يناسب مجتمع لا يناسب أخر من ناحية، ومن ناحية أخرى "فالتجربة تشهد بأن الأدوار الثلاثة قد توجد في الفرد الواحد والجماعة الواحدة، مقترنة بعضها ببعض، فقد يقبل الفرد أو الجماعة تفسيرات لاهوتية أو ميتافيزيقية في بعض المشاكل التي تواجهه مع اعتقاده بالعلم الوضعي ونتائجه" [٧٠] هذه هي أهم الانتقادات التي وجهت لقانون المراحل الثلاث

لدى كونت.

٣- الأخلاق:

أما بالنسبة لأخلاقه فهي أيضاً لم تسلم من النقد الشديد، وأهم ما وجه إليها من انتقادات كانت على النحو التالي:-

أ- أنها أخلاق عقيمة:

فالأخلاق الوضعية أخلاق عقيمة، ودليل ذلك فشلها في إيجاد حل لمشاكل المجتمع أو قدرتها على تحقيق السعادة لأفراده فلم تستطع أن تقدم أي نجاح، كما أنها لم تساهم في القضاء على الفساد المادي أو الاضطراب المعنوي لذا كان أبسط ما يقال عنها بأنها أخلاق عقيمة.

ب- إغفالها للجانب الروحي:

للجانب الروحي تأثير كبير على النفوس، فهو يهذب السلوك، ويرتقى بالأخلاق إلى أوج كمالها؛ إلا أن أخلاق "كونت" قضت على هذا الجانب وبهذا يكون "كونت" قد وقع في خطأ كبير وذلك بحصر مهمتها في القضاء على الجانب الروحي في الإنسان، وقطع صلته بالعالم العلوي، وهذا انحراف في الفطرة، وعدول عن الحق.

يقول يوسف كرم "وفى رأيه أن المهمة التي تجب على الفلسفة الوضعية أن تعمل لها هي محو فكرة الحق الراجعة إلى أصل لاهوتى، من حيث إنها تفترض سلطة أعلى من الإنسان، وحصر الأخلاق كلها في فكرة الواجب، ذلك الميل الطبيعي إلى إخضاع النزاعات الدينية لصالح النوع أجمع بحيث يصير شعارنا الحياة لأجل الغير" (٧١).

ج- تعارضه مع أصول مذهبه:

من بين الانتقادات التي وجهت إلى أخلاق "كونت" الوضعية هو تعارضها مع أصول مذهبه. فقد تطلع "كونت" إلى جعل الأخلاق علماً عملياً يستند إلى المنهج الاستقرائي وحده ولكن بمرور الوقت اتسع معنى العلم عند جمهرة الباحثين حتى

أدخلوا في مفهومه كل دراسة منهجية منظمة تفسر في ضوء المنهج الاستقرائي، وبهذا دخل في العلم دراسات جديدة لا تستند إلى الملاحظة والتجربة، وتقوض تصور القديم لمعنى العلم وهذا مخالفة للمذهب الواقعي وأصوله(٧٢).

د- وأخيراً: فإن من بين ما وجه إليها من نقد هو محدوديتها وقصر نظرتها، فإن علم الأخلاق "تحول على يد أتباع "كونت" إلى علم واقعي، ومعنى هذا وقوفه على وصف الأحداث الخلقية فقط، ووضع قوانين لتفسيرها دون التعرض لمعرفة أثارها، والنتائج عليها" (٧٣).

٤- دين الإنسانية:

لقد وجه لديانة كونت التي دعا إليها انتقادات لاذعة، فمع ما زعمه بأنها السبيل للخلاص من الشقاء وتحقق السعادة للفرد والجماعة إلا أنها لم تسلم هي الأخرى من انتقادات كشفت عن تهافتها ومن بينها ما يلي:

أ- وجود بذور ديانة فيها تسمو عليها:

فلقد وجه إليها النقد باعتبارها ترفض أي دين من شأنه أن يكون ذا مصدر يعلو أو يسمو على الإنسانية، ومع هذا فهي نفسها قد اشتملت على بذور ديانة ترد إلى مصدر آخر غير الإنسانية ودليل ذلك خلق الإنسان يقول بعض الباحثين: " أيكون خلق الإنسان بيد الإنسان تعسفاً؟ لو أثبتنا ذلك للإنسان لاحتقر نفسه، لأنه حين زعم أنه يعمل الأحسن لم يعرف عندئذ إلا أن يتحرك بالصدفة مثل ذرة "ابيقور" (٧٤)، ولكنه يعتقد أنه بالرغم من عدم وجود نموذج كامل يحتذى به في الواقع؛ فإن خلقه يقوم على قاعدة لها ضرورتها ووجودها، وقيمتها العليا؛ وهذه القاعدة التي تستقر في باطن نفسه، وتسمو عليها في آن واحد هي التي يسميها "الله" وهكذا توجد الإنسانية ذاتها بذور دين يسمو موضوعها على الإنسانية " (٧٥).

ب- عدم إشباع رغبات الناس:

من أهم الانتقادات التي وجهت لديانة الإنسانية عجزها عن تحقيق آمال الناس وإشباع رغباتهم، وهذا أمر حتمي فديانة أقيمت على غير أساس وخضعت

لأهواء شخصية ورغبات إنسانية دون أن يكون لها أية صلة بالعالم الآخر لا بد وأن يكون هذا شأنها. فدين الإنسانية الذي دعا إليه "كونت" فشل في تحقيق رغبات الناس، فهو يترك الناس جياعاً ضامرين فهل يمكن لذلك المخلوق الذي يصرخ إبان لهفته وأشواقه المضطرمة الملحة أن يكتفي بعبادة جنسه البشرى. أنرضي أن نترك ونفوسنا عطشى للحق، وأفكارنا تتجاذبها الشكوك والريب مع علمنا بوجود قوة أخرى تعمل على إشباع رغباتنا وتحقيق آمالنا، إلا أنها تسمو فوق إدراكنا، وتبعد عن منالنا(٧٦).

هذه بعض الانتقادات التي وجهت لهذه الديانة، ومن خلالها يتضح لنا ضعف المذهب الوضعي كله، فهو مذهب غامض عاجز عن إيجاد حل للمشكلات أو إيجاد حل لها.

المبحث الخامس
الوضعية في ميزان الإسلام

بعد هذا العرض لهذا التيار وهذه الفلسفة أرى ضرورة بيان رأى الإسلام فيها والواقع أن هذه الفلسفة تيار مادي يتعارض مع الإسلام في عدة نقاط جوهرية من أهمها ما يلي:

١- قصر المعرفة على المعرفة الحسية:

وهذا يخالف ما أقره الإسلام، فهناك جوانب كثيرة لا يصل الإنسان إليها بحواسه، وإن وصل إليها من طرق أخرى كالوحي مثلاً ومن ذلك:

- الروح، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٧٧).

- الملائكة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٧٨).

٢- نظام الطبقات:

الناس في المذهب الوضعي طبقات يتمايزون فيما بينهم كل حسب درجته،

ويأتي على قمة هذه الطبقات الفلاسفة فالنساء، فرجال المال والصناعة وأخيراً العمال، والواقع أن هذا يتعارض مع الإسلام، فالناس في الإسلام سواء يتفاضلون فيما بينهم بالتقوى والعمل الصالح. وهذا لا يمنع من وقوع تفاضل بينهم وذلك لحكمة أرادها الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ..﴾ (٧٩). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٨٠).

٣- موقفها من المرأة:

فقد اهتمت هذه الفلسفة بالمرأة اهتماماً واسع النطاق، وقدمتها على الرجال، وذلك يرجع إلى ما يمكن أن تحدثه المرأة من انقلاب للأوضاع، ولا شك أن هذا يتعارض مع الإسلام، فالإسلام سوى بين الرجال والنساء وجعل مقياس التفاضل بينهما عند الله التقوى والعمل الصالح، إلا أنه أحاط المرأة بسياج من العفة والطهارة، وحفظ لها حقوقها. وجاء تقديم الرجل عليها جاعلاً القوامة من اختصاصه ليس تقليلاً من شأنها، أو حطاً لمكانتها، فقد جبلت المرأة على صفات خاصة بها لا تؤهلها للقوامة، وهذا ما أكدته الأبحاث العلمية. قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾(٨١).

٤- جعلهم الإنسانية هي النهاية العظمى:

فلقد جعل هذا المذهب من الإنسانية إلهاً حقيقياً، كما جعلها هي النهاية العظمى الذي يتمثل فيها الموجود الأعظم الذي هو الإله الحق في نظره، وهذا يخالف ما جاء به الإسلام من أن الموجود الأعظم الجدير بالطاعة، والمنفرد بالعبادة هو الله تعالى، وذلك لما أسداه علينا من نعم. قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...﴾(٨٢). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا...﴾(٨٣).

٥- إنكار وجود الله تعالى ورفضه العالم الغيبي كله:

وهذا هو أساس هذه الفلسفة فقد حصرت نفسها في الإيمان بالمحسوس فقط،

فكل بحث عن العلل والغايات لا فائدة منه، ومن ثم يجب العدول عنه، حيث إنه لا يدرك عن طريق التجربة والملاحظة، التي تتسم باليقين. وهذا يخالف الإسلام الذي أقر بوجود الله تعالى، وقد تضافرت الأدلة على ذلك ما بين عقلية ونقليه، وعلمية فضلاً عن كشفه عن حقيقة العالم الغيبي ووجوده بكل ما أشار إليه القرآن.

خاتمة:

وبعد فهذا جهدي وعملي، وهو جهد المقل فإن كان فيه من حسنة فهي من الله - عز وجل - وإن كانت الأخرى فذلك من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء، وحسبي أنني بشر أخطئ وأصيب، وأدعو الله - عز وجل - ألا أحرم أجر المجتهد أصاب أم أخطأ. والله من وراء المقصد، وهو سبحانه ولي التوفيق والرشاد.

هوامش البحث:

---

(١) سورة النساء الآية ٧٩.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي د. عبد المنعم الحفني /٢٨١ ط الدار الشرقية ط١.

(٣) انظر: التعريفات. للجرجاني /٣٢٦- ٣٢٧.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ٥٧٦/٢. دار الكتاب اللبناني ط١ بيروت سنة ١٩٧٣م.

(٥) انظر: المعجم الفلسفي. مراد وهبة /٤٧٢- ٤٧٣. دار الثقافة الجديدة ط٣ ١٩٧٣م المعجم الفلسفي يوسف كرم، مراد وهبة، يوسف سلامة /١٨٧- ١٨٨. مطابع كوستا توماس، انظر: الفلسفة الوضعية المنطقية. د. أحلام الصياد. بحث ضمن حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة، العدد ١٠ ٩٣١/٢، دار الحكمة للطباعة بالمنصورة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

(٦) العلمانية. سفر بن عبد الرحمن /٣٧٧.

(٧) الفلسفة الحديثة عرض ونقد. د. أحمد رمضان /٤٤٨.

(٨) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة:يوسف كرم /٣٠٩- ٣١٤، الفكر المادي الحديث د. محمود عثمان /٧٩-٨٠.

(٩) انظر: الفلسفة الحديثة عرض ونقد د. أحمد رمضان /٤٨٩.

(١٠) انظر: نفس المصدر /٤٨٩- ٤٩٠.

(١١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي /٢٦. نشر مكتبة وهبة

ط١٢ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

([١٢]) سان سيمون ولد عام ١٧٦٠، وتوفى عام ١٨٢٥ كان مغامراً فى الحياة وفى الفكر وقام بمشروعات صناعية كبيرة: (انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /٣١٤ – ٣١٥).

([١٣]) شارل فوربى: أحد آباء الشيوعية الحديثة ولد عام ١٧٧٢ وتوفى عام ١٨٣٧ (انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /٣١٥).

([١٤]) انظر:الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر /٩٤، تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم /٣١٤ – ٣١٥.

([١٥]) انظر: مصادر المعرفة فى الفكر الديني والفلسفي. د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي /٤٥٩ مكتبة المؤيد المملكة العربية السعودية ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

([١٦]) انظر: الفكر المادي الحديث د. محمود عثمان /٨٤، الفلسفة الحديثة د. أحمد رمضان /٤٩٤.

([١٧]) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة د. راجح عبد الحميد الكردي /٣٠. مكتبة المؤيد ط١ ١٤١٢- ١٩٩٢م.

([١٨]) انظر:جهود المفكرين في العالم الإسلامي د. محمود عثمان /٨٢-٨٣، الفلسفة الحديثة د. أحمد رمضان /٤٩٥.

([١٩]) تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /٣١٨- ٣١٩، انظر: المعرفة د. محمد فتحي الشنيطي /٦٩. دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨١م.

([٢٠]) الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د. يحيى هاشم /٩.

([٢١]) الفكر الأوربي الحديث. الاتصال والتغيير في الأفكار من ١٦٠٠ – ١٩٥٠ جـ٣ القرن ١٩ فرانكلين.ل. باومر /٥٧ ترجمة د. أحمد حمدي محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ سلسلة الألف كتاب رقم ٦١.

([٢٢]) انظر:الفكر المادي الحديث د. محمود عثمان /٨٤-٨٥، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر /٩٨، ٩٩.

([٢٣]) الفلسفة الحديثة عرض ونقد د. أحمد رمضان /٤٩٨.

([٢٤]) تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /٣٢٠.

([٢٥]) قصة الفلسفة الحديثة. زكى نجيب، أحمد أمين. /٣٠٤. الناشر مكتبة النهضة المصرية.

([٢٦]) فلسفة أوجست كونت ليفى. بريل /٣٣٨ ترجمة د. محمود قاسم، والسيد محمد بدوى نشر. مكتبة الأنجلو المصرية.

([٢٧]) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم /٣٢١- ٣٢٢.

([٢٨]) الفلسفة العامة ومباحثها د. محمد على أبو ريان /١٢٨. ط دار المعرفة الجامعية ط٤ ١٩٧٩م.

([٢٩]) انظر: الفلسفة العامة ومباحثها وأصولها. د. محمد أبو ريان ١٢٩ – ١٣٠.

([٣٠]) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها د. توفيق الطويل /٢٦٩ دار الثقافة للنشر والتوزيع ط٥ ١٩٨٥م.
([٣١]) نفس المصدر /٢٧٠.
([٣٢]) الفكر المادي د. محمود عثمان /٩٥.
([٣٣]) انظر: الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام د. محمد مصطفى حلمي. /٧٤ دار الدعوة للطبع والنشر ط٢ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
([٣٤]) انظر: فلسفة أوجست كونت. ليفى بريل /٣٠١.
([٣٥]) انظر: نفس المصدر /٣٠١.
([٣٦]) نفس المصدر /٣٠١.
([٣٧])انظر: الفكر المادي الحديث د. محمود عثمان /٩٧.
([٣٨]) انظر: تفصيل هذا في كتاب دفاع عن العلم. البيربابيه مقدمة المترجم الترجمة العربية /٢٤-٣١ تعريب د. عثمان أمين. دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.
([٣٩]) فلسفة أوجست كونت. ليفى بريل /٣٣١.
([٤٠]) العلم والدين: أميل بوترا /٥٠.
([٤١]) الفكر الأوربي الحديث القرن ١٩، ٦٦/٣.
([٤٢]) المصدر السابق.
([٤٣]) انظر: الفكر المادي الحديث د. محمود عثمان /١٠٤، المذهب الوضعي. رؤية إسلامية. د.صفوت مبارك /٢٨-٢٩ دار الطباعة المحمدية ط١ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
([٤٤]) لقد سمى كونت أسماء الأيام والشهور باسماء رجال من المفكرين وهم على النحو التالي: أرشميدس، قيصر، سان بول، شرلمان، دانتى، جوتنبرج، شكسبير، موسى، هومير، أرسطو، ديكارت، فرديك الثانى، بيثات (انظر: أوجست كونت د. مصطفى الخشاب /١٤٤ مطبعة لجنة البيان العربي).
([٤٥]) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /٣٢٨.
([٤٦]) دراسات فى المذاهب المعاصرة د. محمد شلبي /١٠٧.
([٤٧]) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /٣٢٨.
([٤٨]) الفلسفة الحديثة عرض ونقد د. أحمد رمضان /٥١٤.
([٤٩]) فلسفة أوجست كونت. ليفى بريل /٣٣٥-٣٣٦.
([٥٠]) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار د. محمد البهي /٢٦٦. مكتبة وهبة.
([٥١]) انظر: الفكر الأوربي الحديث، القرن التاسع عشر ٦٣/٣-٦٤.
([٥٢]) انظر: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر. جان فال /١٠٣.
([٥٣]) قصة الفلسفة. ول ديورنت /٤٥٥ - ٤٥٦.
([٥٤]) انظر: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر /١٠٤، الفلسفة الحديثة عرض ونقد.د. أحمد

رمضان /٥١٨.

(٥٥) الفلسفة الفرنسية جان فال /١٠٤.

(٥٦) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي د. عبد الرحمن الزبيدى /٤٧٨.

(٥٧) انظر: وليم جيمس. محمود زيدان /٢٠٤ – ٢٠٥ دار المعارف مصر ١٩٨٥م.

(٥٨) العقل والوجود. يوسف كرم /١٠٠-١٠١. دار المعارف ١٩٥٦م.

(٥٩) انظر: محاورات فلسفية. د. عثمان أمين /٦٤ – ٦٦. الأنجلو المصرية ط٢ ١٩٦٧.

(٦٠) نفس المصدر /٦٦.

(٦١) نفس المصدر /٨٠.

(٦٢) انظر: الفكر المادي د. محمود عتمان /٩٣-٩٤.

(٦٣) الدين في مواجهة العلم. وحيد خان /٧٥.

(٦٤) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي. دراسة نقدية. د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي /٥٢٥.

(٦٥) أسس الفلسفة.د. توفيق الطويل /٢٨٧.

(٦٦) الفلسفة ومباحثها د. محمد أبو ريان. /٢٠٩.

(٦٧) إقليدس: فيلسوف يونانى عاش ما بين عام ٤٥٠– ٣٨٠ ق.م كان من أتباع سقراط وبارميندس وله عدة مؤلفات. (موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب ١/١١٤– ١١٥).

(٦٨) العقل والوجود. يوسف كرم /٩٩. ط. دار المعارف.

(٦٩) الفلسفة الحديثة عرض ونقد د. أحمد رمضان /٥٢٤.

(٧٠) أسس الفلسفة د. توفيق الطويل /٢٨٣.

(٧١) تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم /١٢٦.

(٧٢) انظر: الفلسفة الخليفة د.توفيق الطويل /٢٨٥.

(٧٣) نفس المصدر /٢٨٤.

(٧٤) ابيقور فيلسوف يونانى عاش عام (٣٤١– ٢٧٠م وكان أبوه ساحراً وأمه كذلك ولما بلغ الثامنة عشر من عمره ذهب على أثينا ورحل إلى بعد ذلك إلى أسيا ثم عاد إلى أثينا وافتتح مدرسته بها ٣٠٦ ق.م وله مؤلفات كثيرة فى المنطق والطبيعة (انظر: الموسوعة الفلسفية.. لجنة من العلماء. ترجمة سمير كرم /٨ دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١ ١٩٨٠، المعجم الفلسفى: مجمع اللغة العربية /٢ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٩م، تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم /٢١٤).

(٧٥) العلم والدين. إميل بوترو /٦٨.

(٧٦) انظر: كونت للمستشرقة كاترين هنرى ترجمة حبيب سعد /١٠٤-١٠٥ دار الشرق والغرب. ضمن أعلام الفكر الفرنسي.

(٧٧) سورة الإسراء الآية ٨٥.

([٧٨]) سورة التحريم الآية ٦.
([٧٩]) سورة النحل الآية ٧١.
([٨٠]) سورة الحجرات الآية ١٤.
([٨١]) سورة النساء الآية ٢٤.
([٨٢]) سورة الأنعام الآية ١٠٢.
([٨٣]) سورة النحل الآية ١٨.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
كتب السنة.
١.الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام. د. محمد مصطفى حلمي. دار الدعوة للطبع والنشر. ط٢ ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢.أسس الفلسفة. د. توفيق الطويل.
٣.الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة. د. يحيى هاشم. دار المعارف.
٤.أوجست كونت. د. مصطفى الخشاب. مطبعة لجنة البيان العربي.
٥.تاريخ الفلسفة الحديثة. يوسف كرم. دار المعارف.
٦.تاريخ الفلسفة اليونانية. يوسف كرم. النهضة المصرية.ط ٤.
٧.التعريفات. للجرجاني. ط دار الريان للتراث.
٨.جهود المفكرين في العالم الإسلامي. د. محمود عثمان. مكتبة المعارف بالرياض.
٩.دراسات فى المذاهب المعاصرة. د. محمد شلبي. بدون.
١٠.دفاع عن العلم. البيربابيه مقدمة المترجم الترجمة العربية. تعريب د. عثمان أمين. دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٥ هـ- ١٩٤٦م.
١١.الدين في مواجهة العلم. وحيد خان.
١٢.العقل والوجود. يوسف كرم. دار المعارف ١٩٥٦م.
١٣.العلم والدين. أميل بوترو.
١٤.العلمانية. سفر بن عبد الرحمن.
١٥.الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. د. محمد البهي. نشر مكتبة وهبة ط ٢ ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
١٦.الفكر الأوربي الحديث. الاتصال والتغيير في الأفكار من ١٦٠٠- ١٩٥٠ جـ٣ القرن ١٩ فرانكلين. ل. باومر ترجمة د. أحمد حمدي محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ سلسلة الألف كتاب رقم ٦١.
١٧.الفكر المادي الحديث. د. محمود عثمان. مكتبة الأنجلو المصرية.

١٨.فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها. د. توفيق الطويل. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط٥ ١٩٨٥م.
١٩.الفلسفة الحديثة. د. أحمد رمضان. مكتبة الإيمان بالمنصورة.
٢٠.الفلسفة العامة ومباحثها. د. محمد على أبو ريان ط دار المعرفة الجامعية ط٤ ١٩٧٩م.
٢١.الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر. جان فال
٢٢.الفلسفة الوضعية المنطقية. د. أحلام الصياد. بحث ضمن حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصور العدد ١٠ ج٢ دار الحكمة للطباعة بالمنصورة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٢٣.فلسفة أوجست كونت ليفي. بريل ترجمة د. محمود قاسم، والسيد محمد بدوى نشر. مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٤.قصة الفلسفة الحديثة. زكى نجيب، أحمد أمين. الناشر مكتبة النهضة المصرية.
٢٥.قصة الفلسفة. ول ديورنت. مكتبة المعارف.
٢٦.كونت للمستشرقة كاترين هنرى ترجمة حبيب سعد. دار الشرق والغرب. ضمن أعلام الفكر الفرنسي.
٢٧.محاورات فلسفية. د. عثمان أمين. الأنجلو المصرية ط٢ ١٩٦٧.
٢٨.المذهب الوضعي. رؤية إسلامية. د.صفوت مبارك دار الطباعة المحمدية ط١ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٢٩.مصادر المعرفة فى الفكر الديني والفلسفي. د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي. مكتبة المؤبد المملكة العربية السعودية ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٣٠.المعجم الفلسفي. د. جميل صليبا جـ٢. دار الكتاب اللبناني ط١ بيروت سنة ١٩٧٣م.
٣١.المعجم الفلسفي. د. عبد المنعم الحفني ط الدار الشرقية ط١.
٣٢.المعجم الفلسفي. يوسف كرم، مراد وهبة، يوسف سلامة. مطابع كوستا توماس
٣٣.المعجم الفلسفي. مراد وهبة. دار الثقافة الجديدة ط٣ ١٩٧٣م
٣٤.المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٩م،
٣٥.المعرفة. د. محمد فتحي الشنيطي. دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨١م.
٣٦.موسوعة أعلام الفلاسفة العرب والأجانب ج١.
٣٧. الموسوعة الفلسفية. لجنة من العلماء. ترجمة سمير كرم دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١ ١٩٨٠،
٣٨. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة. د. راجح عبد الحميد الكردي. مكتبة المؤيد ط١ ١٤١٢ – ١٩٩٢م.
٣٩. وليم جيمس. محمود زيدان دار المعارف مصر ١٩٨٥م.